قالت لي النّفس

تأليف

الدكتور راتب الأظن

طبيب جراح متخصص في الأمراض القلبية

طبيب في علاج الأمراض النفسية

مقدمة في جلباب قصة

قصة أصيب بطلها بأزمة نفسية عالجه المؤلف بالتحليل النفسي ويحكي عبرها مبادئ هذا العلم والتعريف بالنفس وشؤونها وأسباب أمراضها. ويتابع في الأجزاء القادمة، إن شاء الله، الحديث عن طرق معالجتها مركزاً بالدرجة الأولى على اكتساب الثقافة اللازمة للوقاية من أزماتها.

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

الجزء الأول

قالـت لـي النّفـس

الجـزء الأول

QALAT LİA ALNAFS

D. RATEB ALAZAN

1. Baskı: İstanbul
2021 - 1442

قالت لي النّفس

الجزء الأول

تأليف

الدكتور راتب الأظن

طبيب جراح متخصص في الأمراض القلبية
طبيب في علاج الأمراض النفسية

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

قالت لي النّفس

الجزء الأول

الدكتور راتب الأظن

email: alazanrateb@me.com

القياس: 16,5 X 23,5 سم

عدد الصفحات : 168 ص

ISBN: 978-605-7618-62-7

الطبعة الأولى

1442 هـ - 2021 م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الأسرة العربية اسطنبول

نحو أسرة عربية واعية

ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

طباعة ونشر وتوزيع

إصدارات مُختارة للأسرة العربية

www.arabfamilybs.com

+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31

info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat

BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 35657

UFUK NEŞRİYATIN.® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: baskı Yılmaz Basımevi (Mat. Sert. Nu: 49749), kapak baskısı Salkım Ofset'te gerçekleştirildi

الدكتـور راتـب الأظـن

طبيب جراح متخصص في الأمراض القلبية
طبيب في معالجة الأمراض النفسية

» مولود في سـوريا دمشـق 1936.

» بكالوريا علمية فرع الرياضيات. دمشق 1957.

» بكالوريـوس فـي العلـوم العسكرية والبحريـة. الكليـة البحريـة الإسكندرية - الجمهورية العربية المتحدة 1960.

» أُحيلَ إلى التقاعد من القوات البحريّة السورية برتبة ملازم أول في آذار 1963.

» شهادة في الطب والجراحة من جامعة بيروجا - إيطاليا عام 1969.

» شهادة تخصص في الأمراض القلبية من جامعة بيروجا – إيطاليا 1974.

» مارس سِنيّ التخصص بالأمراض القلبية في إيطاليا بمِنَح دراسية في مشافي (Brescia) Mellini و Sant'Anna (Como)

» خريج جامعة بيرچمو - إيطاليا في كلية اللغات (الإنكليزية والفرنسية والإيطالية) وآدابها عام 1987 Università di Bergamo - Italia, Linguestaniere e Letteratura.

» دبلـوم (أربـع سـنوات) فـي عـلاج الأمـراض النفسـية والتنويـم الإيحائـي الطبـي "hypnosis" ڤـيرونا - إيطاليا Scuola S.P.P.I.E H. Bernheim

» دبلوم (أربع سنوات) في المعهد الأوروبي لعلاج الأمراض النفسية والتنويم الإيحائي التجريبي ميلانو - إيطاليا Amisi Sepi Scuola Europe di Psicoterapia Ipnotica.

» شـــارك فـي عــدة مؤتمــرات فـي عـلاج الأمـراض النفســية فـي إيطاليــا (ميلانو، بولونيا، فلورنس) وأمستردام.

» الماستر الأوروبي في مشروع : أوروبا بدون تدخين. المعهد الأوروبي لعلم الأورام. ميلانو - إيطاليا. Progetto: "Europa senza fumo" Istituto Europeo Oncologia.

كلمة الناشر

تفتقر المكتبة العربية بشكل عام لكتب تتحدث عن هذا العالم الخفي (عالم النفس البشرية) وتشرح مكنوناته بلغة سهلة قريبة للقارئ العادي، وقد أخذ المؤلف الدكتور راتب الأظن حفظه الله تعالى على عاتقه مهمة تقريب علم التحليل والعلاج النفسي للقارئ العربي بأسلوب مبسّط قريب للأذهان وتأنسه النفس، وهو خير من يكتب في هذا المجال لما يجمعه بين تخصصات الطب العضوي والنفسي في جسم الإنسان، ولما يمتلكه من خبرات وتجارب طويلة اكتسبها خلال رحلته العلاجية للمئات من الحالات لما يزيد عن خمسة عقود من الزمن..

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من سلسلة كتب سيتابع فيها المؤلف بحول الله كشف مكنونات هذا العالم الخلفي الذي يعيش فيه الإنسان أغلب أوقاته، ويؤثر بشكل مباشر على أفكاره وسلوكه وحتى على عمل وظائفه الجسمانية بأكملها بشكل ينعكس سلباً أو إيجاباً على مستوى حضوره وتفاعله مع محيطه وتحدياته اليومية.

وقد حرصنا في مكتبة الأسرة العربية على تزويد القارئ العربي بأغلب ما يحتاجه من مؤلفات وإصدارات لأميز الكتاب والباحثين الثقات لمواكبة كل جديد ومفيد يحتاجه في هذا العصر المتسارع، سائلين المولى العلي القدير أن يوفقنا جميعاً ويسدد خطانا فيما يرضيه.

مقدمة في جِلباب قصّة أصيب بطلها بأزمة نفسية عالجه المؤلف بالتحليل النفسي، ويحكي عبرَها مبادئ هذا العلم الفتي والتعريف بالنفس وشؤونها وأسباب أمراضها. ويتابع في الأجزاء القادمة الحديث عن طرق معالجتها مركّزًا بالدرجة الأولى على اكتساب الثقافة اللازمة للوقاية من أزماتها.

سبرينا شابة جميلة ذكية وماهرة في وظيفتها. تدير بجدارة منذ سنين مكتب أعمال السيد ريناتو (سِكرتيرته). دخلت يومًا كعادتها ووضعت على مكتبه مِلفّ الوثائق. بينما كان منهمكًا في مطالعتها وتوقيعها حدّثته عن بعض الوقائع التي تجري بين موظفيه، وخاصةً عن مشادّةٍ بسيطة طريفة تكرَّرت بين اثنين منهم وانتهت حُبيًّا كسابقاتها. وفي تلك اللحظة طرأ حادث عادي كان من شأنه أن يمضي بعباراتٍ مفادُها عدم المؤاخذة، أو الدعوة لعدم المبالاة، ثم تجري الأمور وكأن شيئًا لم يكن. إلاّ أن ما وقع هذا الصباح سبّب انفجارًا فجائيًّا لعدة أعراض بالغة الأثر في نفس ريناتو غيّرت مجرى حياته رأسًا على عقب. أعراضٌ ما عَهدها مسبقًا منذ ولادته،

ثمان وثلاثون سنة مضت. فقد انتابه فجأة خليطٌ من أحاسيس متضاربة: ميلٌ مُلحٌّ إلى الضحك والاسترخاء وفي الوقت نفسه مجاهدةٌ لحبس انفجارٍ بالبكاء المُر، شعورٌ عجيبٌ بآلامٍ لا يعرف بأيِّ مكان من جسمه ولكنها ليست كالآلام "...لا أُحسُّ بالألم، بل أشعرُ بأن ما كنت أعيشُ في تلك اللحظة يتطلّب طبعًا وحتمًا أن أتألّم، ولكني لا أتألّم، كمن يحاول أن يركض أثناء الحلم هاربًا مذعورًا من خطر مجهول دون أن يتمكّن من الحراك ولو بخطوة واحدة...". ويتابع بوصف إحساسه هذا بإطنابٍ أثناء إحدى جلساته التحليلية ويضرب أمثلة عديدة أخرى ليضفي على الإحساس إيضاحًا خاصًا بغية التوكيد بأنه إحساسٌ فريدٌ من نوعه بشكل يدفعه للإعادة والإسهاب وضرب الأمثلة. ثم تواترتْ عليه بعد ثوانٍ أعراضٌ أخرى: تعرّقٌ رطب في الجبين وفي راحتيه، ارتجافٌ وتشنجٌ محرج في أنامله، ضياعُ التركيزِ الذهني فيما كان يناقش سبرينا حول ما كان يطالع بين يديه من أوراق، وتلاطمُ أفكارٍ مختلفةٍ تتخلّلها أحاسيس ومشاعر متضاربة في خضمِّ حديثها. ولكنه وهو في دوامة ما اعتراه كان يعود إلى رشده وتملُّكِ نفسه لحظةً يشعر فيها وكأنه انتفض من كابوسٍ غاشم، يفهم حينها

بأنه فقدَ لبرهة إدراك الزمن والمكان، وشعورٍ بأنه قد تحرّر ممّا اعتراه. وإبّان تلك الفترة، بحسب ما أخبرت سبرينا: أنه انطرح بعنف أرضًا، ثم ثانيةً بينما كان بين يديها مختلجًا من جديد، وما أن يتساءل عمّا دهاه يقع مجدّدًا فريسة حالته بالإضافة إلى أحاسيس جديدةٍ وتفاقمٍ في حدّةِ ما كان يعانيه من قبل. أما سبرينا فقد انتابها حرج بالغ وراعها ما تشاهد، إذ أنها لم تجد تفسيرًا لما اعترى ربَّ عملها ومن ثَمَّ لم تهتد إلى اتخاذ أي تصرف ملائم للواقع، خاصةً وأن ما حدث منذ لحظة بينهما لا يُعَلِّل ما كان يجري.

ما هذا الحدث الجَلَل الذي سبّب لذلك الرجل الهادئ الرزين ما سبّب بغتةً ودون سببٍ ظاهر؟ سنعلم أنه رجلُ أعمال ودين، ربُّ بيت سعيدٌ بزواجه شغوفٌ بأبنائه الثلاثة عطوفٌ عليهم، ناجحٌ في عمله موفورُ الرزق مرموقُ الجانب في مجتمعه، وسيُعلمنا الكثير عن نفسه وسيعلم عنها ما يدهشه. أضف إلى ذلك أن كل المعاينات الطبية، مع التركيز خاصة على جهازه العصبي، شهدت بسلامة جسمه وكل ملكاته النفسية واستبعدت وجود أية علةٍ عضويةٍ تحتيّةٍ

للأعراض التي ابتُليَ بها بغتةً. وحتى ما حدث بينه وبين سبرينا لحظةَ اندلاع تلكم الأعراض لم تُستنبط منه أيّة علاقة سببيةٍ تبررها.

إليك خلاصة ما حدث بينهما: بينما كانت سبرينا تدلي بتقريرها الشفهي وتفسح المجال المناسب لوضع بعض الوثائق على الطاولة، سبّبت سقوط صحن مطفأة السجائر! تبعثر هذا شظايا وأحدث ذلك الرنين المعهود سماعه في مثل هذه الأحوال. وقد وصفته سبرينا أنه مجرد: بَمْبَمْ تَنْ تِن تِشْ، تبعه رنينُ تبعثُرِ الشظايا، رنينٌ ما كان من شأنه إزعاج حتى مُرهف السمع. ولكن ريناتو سيُلقِّب هذا الرنين بأنه: "...زلزالٌ زلزلَ بغتةً وجودي ...". هذا كل ما حدث! حتى ما تبعه مباشرة لم تكن له أهمية تُذكر، إذ أن سبرينا اعتذرت بما جرت العادة بقوله في مثل هذه الظروف، وما أن لَملمت بقايا صحن السجاير شُدِهت لِما شاهدته يعتري ربَّ عملها. أُعيدَ سماع هذا الحدث من قِبَل طبيبه الخاص ومَن تداولوا أمره وتدارسوه من جميع الوجوه بغية استنباط علاقةٍ منطقيةٍ مع الفاجعة التي أقضّت مضجعه.

فهل كانت للصحن قيمة مادية؟ كلاّ، صحيح أنه كان قطعةً فنّيةً مُتقنةً، تم صنعها آليًّا من الكرستال الهنغاري الشهير بنقوشه الهندسية ونقاء شفافيته الألماسية، ولكنه لم يكن فريدًا أو ثمينًا نسبةً لصاحبه الميسور. أضف إلى ذلك أن سبرينا، إلى جانب ذكائها، كانت حاضرة البديهة إذ تدخلت فورَ ظهور هذه الأعراض على المدير قائلة بهدوء وثقة وبلهجةٍ مرحة: "...من حسن الحظ يا سيدي المدير، رأيت في مخزنٍ بجوار مبنانا صحنًا طِبق الأصل للّذي تحطّم..." وأشارت بخِنْصرٍ وسبّابةِ يدها اليمنى مُوجّهة نحو الأسفل: حركةٌ تقليديةٌ مُستحبة مع بعض الاستهجان الطريف المقبول لدى الإيطاليين. ففيها أصلًا إهانةٌ بالغة لمن تُوجّه إليه، ولكن ممّا تتضمن هذه الحركة في مجال حادثة الصحن هو أنّ فيما حدث خيرًا وأن الصحنَ كان الضحية الرمزية لشرٍ هامٍ قد كان من المقدَّر أن يُصيبها هي لو لم يتحطّم (انْكَسر الشَّر بلهجة أهل الشام في مثل هذه الظروف).

ويُتوخىّ ممّا قالت فوق كل شيء، إضفاءُ جوٍ فكاهي مرحٍ يحل محلّ الحرج والارتباك اللاّبُدِّي في مثل تلك الأحوال. ثم أضافت، وهي تغالب إحراجًا مؤثّرًا

لتفاعلِ ريناتو بنقيض ما أمِلَت: "...ولهذا ينبغي عليّ أنا أن أبتاعه كبديلٍ وفورًا...".

إذن فهل كانت له قيمة معنوية؟ أبدًا، ما كان الصحن قطعةً متحفيةً شاهدةً لحضارة قديمة، لم تكن له حتى ولا قيمةٌ معنويةٌ تذكارية. هل أُهديَ إليه مثلًا بمناسبة هامة من شخص عزيز؟ هل ابتاعه في رحلة سياحية عزيزة على خاطره؟ كلاّ وألف كلاّ، ليس لهذا الصحن أية قيمة لريناتو إذ أكّد هو نفسه أنه لم يكن يومًا شغوفًا به وما كان يعيره أية أهمية ولا يذكر بدقة شكلَه ولا متى ولا بأية مناسبة اقتناه. حتى وأنه (أثناء حديثه عن هذه الاستفسارات في إحدى الجلسات التحليلية)، أبدى عن استيائه بحدّةٍ متسائلًا بدوره: "...هب أن كل هذه التساؤلات التي كانوا يرشقوني بها عن ذاك الصحن الـ..." توقفَ عن الكلام لحظةً مُتأثِّرًا دون أن يستوعب بماذا كادت شفتاه تنعت ذلك الصحن وما رافقه من إحساسٍ تلك اللحظة، ثم تابع قائلًا: "...هب أنها كانت إيجابيةً، هب أنّه كان ثمينًا فريدًا متحفيًّا أو حاملًا ذكرياتٍ غاليةً على نفسي، ولكن ما الفائدة من ذلك، وما شأن كل هذا بما أصابني...؟".

باختصار: إنّ كل المعاينات والاختبارات الطبية، بما فيها من التحريات بحياة ريناتو: أمراضه الشخصية

الدكتور راتب الأظن

» مواليد دمشق - سوريا 1936.
» بكالوريوس العلوم العسكرية والبحرية، الكلية البحرية بالاسكندرية 1960.
» شهادة الطب والجراحة جامعة بيروجا - إيطاليا 1969.
» شهادة التخصص في الأمراض القلبية جامعة بيروجا - إيطاليا 1974.
» دبلوم أربع سنوات في علاج الأمراض النفسية فـيرونا - إيطاليا.
» دبلوم المعهد الأوروبي لعلاج الأمراض النفسية ميلانو - إيطاليا.

قالـت لي النّفـس

أكتبُ هذه الصفحات كما تمنّيتُ لو أنّني قرأتُها منذ سـنٌ المراهقـة. كنتُ آنذاكَ أُمّيًّا في هذا المجال وظمآن تلهّفًا لمعرفة ما كان يعتمل في نفسي ممّا هو أكبر منها من شؤونٍ وأشياءِ الحياة النفسية.

فلو قرأتُ عن النفس آنئذ كما وطّدتُ نفسي أن أكتب الآن، لكان شأنُ ما عشتُ وما جَرّبتُ وحييتُ منذئذ في خضمّ أيّ من المجالات العلمية والعملية التي خُضتُها، شأنًا آخرَ، يمكن أن يكون أغزر تحصيلاً وأيسر جهدًا وأنعم حالاً ممّا كان.

فهـذه الصفحات إذن هيَ جُلُّ وجـداني وإيماني بأنها أثمن ما يمكن بسـطُه بهذه العقلية وبهذا الأسـلوب في مجال علم التحليل النفسي لقُرّاء لغتيَ الأم، أيًّا كان سنُّهم وتحضيرهم الدراسي وما اختاروه من مهنٍ لتحقيق ذاتهم.

على هذا وطّدتُ نفسي راجيًا الله العليم التوفيقَ في إنجازه.

KORSANI DEĞİL BENİ OKU
TBYM

ISBN 978-605-7618-62-7
9 786057 618627

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL
طبـاعـة ونشـر وتوزيع
إصدارات مُختـارة للأسـرة العربيـة
UFUK neşriyat
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com